دور السان سيمونيين والماسونيين في توطيد الاستعمار الفرنسي بالجزائر خلال القرن 13هـ/19م

The role of Saint-Simonians and Freemasons in the consolidation of French colonialism in Algeria during the 13th century AH/19 AD

الأمير بوغداده[1]

[1]جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، boughedada.elamir@univ-biskra.dz

تاريخ الاستلام: 2022/04/13 تاريخ القبول: 2022/05/04 تاريخ النشر: 2022/05/31

ملخص

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور أتباع بعض التيارات الفكرية، الإيديولوجية، العلمانية كالسان سيمونية والماسونية في توجيه السياسة الفرنسية هنا بالجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري التاسع عشر الميلادي، خدمة لأهدافهم التي تأتي في مقدمتها القضاء على كل ما يمت للمقاومة الوطنية بصلة كالدين ومؤسساته.

وفي سبيل الوصول إلى هذه الغاية، وعملا بالمبدأ الإلحادي الزائف (الغاية تبرر الوسيلة) استعانوا بكل الوسائل الممكنة والمتاحة لهم سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة، واستخدموا سياسة الترغيب والترهيب ضد الجزائريين لاسيما أتباع الطرق الصوفية منهم، وهذا ما أثر سلبا على نشاط التيار المقاوم في تلك الفترة وجعله يضعف ويفشل في تحقيق أماله وطموحاته.

كلمات مفتاحية: سان سيمونية؛ ماسونية؛ تيار مقاوم؛ تيار الصوفي؛ احتلال فرنسي

Abstract

The main objective of this research is to highlight the followers of some intellectual currents, ideological, laity's…, like the Saint Simonies and the Masons, and its influence on the French politics toward Algeria during the nineteenth century, it is obvious that their role is to diminish all things related to Islam and all the Islamic organizations on the Algerian resistance.

To reach these goals they apply their ultimate concept " the ends justify the means", and to do that they use all the methods possible whether it is good of not to serve their purpose and achieve what they want, including persuasion and intimidation toward the Algerians, especially they use the leaders of the Sufism orders.The result is bad on the activity of the resistance movement, they misguided them to their roles and made them unable to achieve the aspirations of the Algerian people.

Keywords: Saint Simonies; Masons; resistive current; courant mystique; the French occupation

المؤلف المرسل: الأمير بوغداده، الايميل: boughedada.elamir@univ-biskra.dz

1. مقدمة

بعد أن تمكنت الحملة الفرنسية على الجزائر من تحقيق هدفها الرئيس وهو القضاء على الحكم التركي العثماني في الجزائر، اعتقد ساسة فرنسا وقادتها العسكريون أن الطريق أمامهم لاحتلال كامل التراب الوطني وإخضاع كل الشعب الجزائري أصبح معبدا ومفروشا بالورود، لاسيما وأن الجيش النظامي الجزائري التابع للسلطة المركزية، قد تفكك وتشتت وفر قادته وجنوده بعد أن فشلوا في التصدي للحملة وردها على أعقابها، لكن مجريات الأحداث على أرض الواقع فيما بعد أثبتت لهؤلاء الساسة والعسكريين الفرنسيين أن تحليلاتهم وتوقعاتهم لم تكن في محلها، إذ بمجرد أن تم تسليم مدينة الجزائر للفرنسيين أخذ أعيان الشعب الجزائري من شيوخ القبائل والزوايا وعلماء الدين وغيرهم على عاتقهم مهمة التصدي لهذا المحتل ومقاومته، وشكلوا ما يعرف بتيار المقاومة الوطنية أو التيار المقاوم الذي أصبح بمثابة جبهة الصمود والتحدي للشعب الجزائري أمام قوات الاحتلال الفرنسي التي كبدها هذا التيار خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وحقق عليها انتصارات كثيرة في أماكن عديدة وفي أوقات مختلفة من القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، وكاد أن يعيدها على أعقابها من حيث جاءت، لولا تدخل بعض التيارات الفكرية، الإيديولوجية، العلمانية كالسان سيمونية Saint-Simonisme والماسونية Maçonnerie في هذا الصراع الدائر بين الطرفين ووقوفها إلى جانب السلطة الفرنسية مما أكسبها الثقة في النفس وزاد من عزيمتها في القضاء على أي مقاومة أو حركة تحررية تقف في وجهها، وهنا يطرح الإشكال التالي:

إلى أي مدى ساهم السان سيمونيون والماسنيون بنشاطهم على أرض الجزائر في توطيد الاستعمار الفرنسي؟

2. السان سيمونية Saint-Simonisme والجزائر:

1.2. التعريف بالسان سيمونية Saint-Simonisme:

مذهب أيديولوجي ـ فكري ـ ظهر في أوروبا مع مطلع القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي على يد سان سيمون Saint-Simon المولود بباريس سنة 1174هـ/1760م والذي اعتنق مبادئ الثورة الفرنسية، ودعا إلى اتحاد مختلف الطبقات في تيار واحد خدمة للصناعة، وبعد وفاته عام 1239هـ/1825م انتشر أتباعه في البلاد العربية وعلى رأسهم آنفانتان (Enfantin) (ينظر الملحق: إحالة رقم1)، وهذا المذهب يقوم على المثالية والاشتراكية، (عبيد، 1434هـ/2013م، صفحة 41) ويحث على العمل واحترام الإنسان وتشريف الإنسانية من خلال تفضيل المصلحة العامة، وإحلال مشاعر التضامن والكرامة بين الناس، ويدعو إلى نبذ الأنانية والكراهية، وإلى الابتعاد عن المادية البحته، وكل ذلك يتم عن طريق التنمية المادية التي يجب أن تكون ـ حسب رأي السان سيمونيين ـ وسيلة لتحقيق ذلك وليست غاية في حد ذاتها، خاصة وأن الإنسان قادر على تسخير الطبيعة لصالحه. (Emérit, 1941, pp. **16-17**)

إلا أن الملاحظ على أعمال السان سيمونيين في مصر والجزائر ومدى تلهفهم لجمع المادة واستغلالهم للإنسان، يدرك أن مبادئهم هذه لم تكن سوى مجرد ادعاءات لم تجد طريقها إلى الواقع، خاصة وأنهم يؤمنون بواجب تحقيق الوحدة بين العالمين الشرقي والغربي، على أن يكون الغرب فاعلا والشرق مفعولا به. (عبيد، 1434هـ/2013م، الصفحات 41 –43)

2.2. دخول السان سيمونية Saint-Simonisme إلى الجزائر:

تعود معرفة السان سيمونيين بالجزائر إلى وقت مبكر وسابق للاحتلال عن طريق الأب الروحي لهم آنفانتان Enfantin، الذي خلف سان سيمون Saint-Simon على رأس التنظيم بعد وفاته سنة 1239هـ/1825م، وكان آنفانتان Enfantin في رحلة شبابه قد قام بزيارات ورحلات عددية قادته إلى الجزائر في الفترة الممتدة من 1230هـ/1816م إلى 1235هـ/1821م، أين كان يعمل كوكيل للخمر، كما دفعته الظروف إلى أن يقطن بها، (عبيد، 2013، الصفحات 41–43) وقد صرح هو بذلك في رسالته التي بعث بها إلى وزير الحربية الفرنسي سنة 1257هـ/1843م عندما قال: "إنني أعرف الجزائر التي زرتها ورحلت إليها وقطنت بها خمس سنوات من شبابي". (Yver, 1918, p. 258)

إلا أن اهتمام السان سيمونيين بالجزائر لم يحدث إلا بعد أن فشل مشروعهم في مصر(ينظر الملحق: إحالة رقم2) سنة 1250هـ/1836م، واستقر آنفانتان Enfantin في الجزائر كعضو في اللجنة العلمية لاكتشاف الجزائر لمدة سنتين من 1253هـ/1839 إلى غاية 1255هـ/1841م، (عبيد، 1434هـ/2013م، صفحة 43) أين لاحظ أن هذه الرقعة الجغرافية من العالم تحمل عوامل نجاح المشروع السان سيموني، الذي يهدف إلى ربط العالم الغربي بالعالم الإسلامي، وتوحيدهما فكريا واقتصاديا وحتى جغرافيا من خلال ربط القارات بعضها ببعض، (عميراوي، بحوث تاريخية، 2006، صفحة 123) على أن يكون العالم الغربي هو الفاعل، والعالم الإسلامي هو المفعول به. (عبيد، 1434هـ/2013م، صفحة 30) وقد صرح آنفانتان Enfantin قائلا: "الجزائر هي مكان تجربة هذا التنظيم الجديد الذي نريد تحقيقه هنا، ونعمل ما في وسعنا لتحقيقه باستبعاد العقبات التي تقضي على شركاتنا القديمة". (Enfantin, 1843, pp. 116-117)

3.2.نشاط السان سيمونيين Saint-Simoniens وأثره في الجزائر:

لتجسيد المشروع السان سيموني على أرض الجزائر اقترح السان سيمونيون، احتفاظ فرنسا بالجزائر مع توسيع دائرة الاحتلال لتشمل مختلف المناطق الجزائرية، على أن يكون هذا الاحتلال أوروبيا، مسيحيا، ويتم

تحت السيطرة الفرنسية، (Enfantin, 1843, p. 370) أي بمعنى أن تكون الهجرة إلى الجزائر أوروبية بما يسمح ببناء مجتمع أوروبي استيطاني دخيل تحت مظلة الاستعمار الفرنسي. (عبيد، 1434هـ/2013م، الصفحات 46-47)

من أجل ذلك اقترحوا عدة مشاريع، كبناء المدارس والمعاهد، ومد طرق المواصلات والسكك الحديدية، وتأسيس المدن الفلاحية واستغلال المناجم، (عميراوي، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838-1858)، 1425هـ/2004م، صفحة 62) بالإضافة إلى مشروع ربط الجزائر بفرنسا، حيث أنشئوا الخط البحري مرسيليا- الجزائر، وأعلنوا مبدأ الموانئ الحرة، وقاموا بإلغاء الحواجز الجمركية. (Cordier, 1937, p. 215)

غير أن تجسيد هذه المشاريع على أرض الواقع كان يتطلب الاستيلاء على أكبر عدد ممكن من الممتلكات والأراضي، التي اعتقد السان سيمونيون أنها ليست ملكًا لأحد، إذ أنهم يؤمنون أن ملكية الأرض الخاصة لا وجود لها في الجزائر إلا في المدن وأحوازها، وما عدا ذلك فلم تكن الأرض ملكًا لأحد، وحتى الأرض المشاع ليست ملكًا لأي كان، لا لشيخ القبيلة ولا لشيوخ الدوار، ولا للباي أو الداي، كما أنه لا لوجود لملكية جماعية للأرض بالمعنى المتعارف عليه، وهو ما يسمح لسلطة الاحتلال الاستيلاء عليها خدمة للمشروع الاستيطاني. (عميراوي، السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة (1838-1858)، 1425هـ/2004م، صفحة 65)

لكن هذا الطرح السان سيموني لملكية الأرض في الجزائر كان طرحًا خاطئًا، إذ أن تلك الأراضي حتى وإن لم يكن لها أصحابها، فهي تبقى أراضي جزائرية، وملكيتها تعود للجزائريين الذين هم أحق بها من المستوطنين الأوروبيين، وهو ما يعني أن الاستيلاء عليها من قبل السان سيمونيين يتطلب استخدام القوة، وهذا ما ادخل هؤلاء في حرب غير مباشرة(ينظر الملحق: إحالة رقم3) ضد رجال المقاومة الوطنية الذين هم في أغلبهم من أتباع التيار الصوفي.

لقد انخرط السان سيمونيون بقوة في الجيش الفرنسي، وكان منهم قادة كبار، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، صفحة 438) قادوا عدة معارك ضد بعض أتباع التيار الصوفي الذين كانوا يتزعمون ويقودون المقاومة الوطنية كالقادريين والرحمانيين وغيرهم، ونذكر من بين هؤلاء القادة العسكريين السان سيمونيين لامورسيار Lamoricière الذي عين حاكمًا على منطقة الغرب الجزائري، والدوق دومال Duc d'Aumale الابن الرابع للملك لويس فيليب Louis philippe، والمشهور بقضائه على فرقة الزمالة للأمير

عبد القادر سنة 1257هـ/1843م، (عميراوي، بحوث تاريخية، 2006، صفحة 123) وكذلك الجنرال بادو Badeau والنقيب بيجو Bigot الذي قتل بعنابة عام 1245هـ/1831م. (عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 2004، صفحة 125)

إلا أن السان سيمونيون سرعان ما أدركوا أن حربهم لم تكن مع أناس أو أشخاص عاديين، يقاتلون من أجل البقاء، وإنما حربهم هي مع تيار ذو إيديولوجية دينية يقاتل من أجلها، وهو ما جعلهم يحاولون دراسته لفهمه وفهم أفكاره والاطلاع على أسراره، فكانوا بذلك ــ حسب علمي واعتقادي ــ أول من أجرى دراسة على هذا التيار في الجزائر خلال القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي.

قام بهذه الدراسة إدوارد دونوفو Edward de neveu، وهو من كبار المسؤولين في الشؤون الأهلية، ومن المنتمين للحركة السان سيمونية، (سعد الله، 2009، الجزء 4، الصفحات 29–30) ونشرها لأول مرة على شكل كناش سنة 1259هـ/1845م بأمر من الحاكم دوق دومال Duc d'Aumale ــ السان سيموني ــ وكانت لهذه الدراسة أبعاد استراتيجية أُرِيدَ من خلالها إيجاد حلول ميدانية للتساؤلات التي كانت تطرح من قبل رواد الحملة الاستعمارية، (دونوفو، 2003، صفحة 7) خاصة المنتمين منهم للسان سيمونية، وهذا ما يفهم من قول المؤلف: "إن الغرض من التعريف بالطرق الدينية التي كانت تتقاسم سكان الجزائر هو الكشف عن الجماعات التي تثير يقظتنا. كل فرقة هي بمثابة قوة محركة، من يعرف توجيهها، تكون مثل السلاح الفتاك الذي مكننا من تحقيق مشاريعنا الاستعمارية". (دونوفو، 2003، صفحة 106)

توصل إدوارد دونوفو Edward de neveu في دراسته إلى أن الطرق الصوفية من حيث مواقفها من الاحتلال الفرنسي هي ثلاثة أنواع، النوع الأول؛ وهو المتعصب لأفكاره، والرافض للاحتلال الفرنسي ولا يرضى إلا بالقتال الذي يسميه الجهاد، وهذا النوع تمثله كلا من الطريقة القادرية والرحمانية والدرقاوية. أما النوع الثاني؛ الذي تمثله الطريقة العيساوية، فإن كان لا يمثل خطرًا على الفرنسيين إلا أن موقفه منهم تلفه الضبابية ويبقى غامضًا. والنوع الثالث؛ مجامل للسلطة الفرنسية وله قابلية للتعامل والتعاون معها، وعلى رأسه الطريقة التجانية. والتعامل مع هذه الأنواع الثلاثة يكون من خلال فرض نظام مراقبة محكم ودائم عليها، وغرس جواسيس بين أتباعها لاطلاع السلطة الفرنسية عن ما يدور في اجتماعاتها، وكذلك محاولة استمالة شيوخها من خلال إغرائهم بالهدايا، وإظهار لهم شيء من الأهمية والاعتناء بمساجدهم. (دونوفو، 2003، الصفحات 102–107)

تعتبر هذه الدراسة بمثابة خارطة الطريق التي رسمت للسان سيمونيين الخطوط العريضة لسياستهم، وعلاقتهم اتجاه التيار الصوفي برمته، فهم حاولوا أن يستفيدوا مما ورد فيها من معلومات، وبما خرجت به من نتائج وتوصيات، وحاولوا أن يسقطوا هذه التوصيات على أرض الواقع، وهذا ما يتضح جليًا من خلال أفعالهم ومؤلفاتهم التي جاءت بعد هذه الدراسة.

فعلى سبيل المثال قام إسماعيل أوربان(ينظر الملحق: إحالة رقم4) وهو أحد الوجوه السان سيمونية البارزة على الساحة السياسية في الجزائر خلال تلك الفترة، (سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860 – 1900، 2009، الصفحات 42 –47) بإصدار كتابين، أحدهما سنة 1274هـ/1860م بعنوان الجزائر للجزائريين L'Algérie pour Les Algerians، والثاني سنة 1277هـ/1863م بعنوان الجزائر الفرنسية L'Algérie Française، دعا من خلالهما سلطة الاحتلال الفرنسي إلى منح الجزائر نوعًا من الاستقلالية مع قيام الحكومة بدور المراقبة، والعمل على تحقيق الرعاية الاجتماعية للأهالي ودفعهم إلى الاندماج بالمعمرين طواعية. (أجرون، 2007، الصفحات 736– 740).

قبل إصدار إسماعيل أوربان للكتابين كان قد أجرى عدة اتصالات وتبادل عدة رسائل(ينظر الملحق: إحالة رقم5) مع الأمير عبد القادر بصفته شيخ الطريقة القادرية في الجزائر وأحد قادة المقاومة الوطنية، ونعتقد أن إسماعيل أوربان قد أجرى تلك الاتصالات بالأمير عبد القادر بغرض استمالته للسان سيمونية، لكن كل الدراسات التي اطلعنا عليها لم تشر إلى أن الأمير عبد القادر قد انتمى إلى السان سيمونيه أو تأثر بأفكارها، عدا أحميدة عميراوي الذي اعتقد أن الأمير عبد القادر قد يكون تأثر بأفكارها، نظرًا لمواقفه الإنسانية العديدة، ومراسلاته واتصالاته بشخصيات منخرطة في هذه الحركة كالكولونيل بواسونييه Boissonet، ونظرا للكتابات التي تحدثت عن هذه القضية، (عميراوي، بحوث تاريخية، 2006، صفحة 123) مع العلم أن احميده عميراوي لم يذكر لنا هذه الكتابات ولا أصحابها.

سواءً تأثر الأمير عبد القادر بالفكر السان سيموني، أم لم يتأثر فإن إسماعيل أوربان ظل يحتفظ بموقف متشدد اتجاه زعماء المقاومة الوطنية من أتباع الطرق الصوفية، الذين فضلوا القتال والجهاد بدلاً من الرضوخ والانبطاح للمحتل، فقد نصت كتابات إسماعيل أوربان على وضع رجال الدين الذين يشكلون فئات المقاومة تحت الرقابة الأمنية لأجهزة المكاتب العربية فقال: "كل القوى الحية في المجتمع لابد أن نروضها لتقبل سيطرتنا شاءت ذلك أم أبت من رجال الدين الذين يشكلون فئات المقاومة أو المحافظين الحاقدين علينا"(ينظر الملحق: إحالة رقم6) (بن التهامي، 2009، صفحة 151).

كما اقترح إسماعيل أوربان جملة من التدابير على شكل توصيات من أجل إنجاح المشروع الاستعماري بالجزائر، وأهمها ما يلي (عبيد، 1434هـ/2013م، صفحة 116):

- الأمن والسلم هما أرضية تحقيق أي تطور.
- تحرير المرأة الجزائرية على الطريقة الأوروبية بإخراجها من حالتها التي هي عليها آنذاك والتي يصفها بأنها حالة الأمة أو الجارية.
- الاهتمام بالتعليم بما يخدم المصلحة الفرنسية، وخاصة العلوم التقنية لما لها من دور في تحصيل التكنولوجيا وتحقيق التطور.
- الاهتمام بنوع المنتوج لا بكميته.
- إنشاء سجل الحالة المدنية للجزائريين واحترام التشريع الإسلامي فيما يتعلق بأحوالهم الشخصية.
- تأسيس مستوصفات للجزائريين بالمناطق التي تفتقد إلى مستشفيات، وجعل الأطباء في خدمة الجزائريين في إطار المكاتب العربية.

يتضح جليا من خلال مقترحات إسماعيل أوربان، أن الأيديولوجية السان سيمونية في الجزائر كانت تقوم على الدعوة إلى إقامة مجتمع متشارك يجمع بين الأهالي والمعمرين، تتحقق فيه في النهاية المصلحة الاستعمارية، وذلك من خلال الاهتمام بتحسين الناحية الاجتماعية في إطار المبادئ الإنسانية السامية التي كانت تدعو إليها السان سيمونية، وعلى بناء قاعدة اقتصادية متينة ومتطورة، تتولى السلطة الاستعمارية ورجال المال والأعمال الناحية التجارية فيها، ويتولى المعمرون الصناعة فيها، بينما تخصص فيها الزراعة للأهالي. (عبيد، 1434هـ/2013م، الصفحات 116 – 117).

3. الماسونية Maçonnerie والجزائر:

1.3.التعريف بالماسونية Maçonnerie:

عرفها المحفل الأعظم المتحد لإنجلترا بأنها: من أقدم جمعيات الأخوة العلمانية في العالم وهي جمعية من الرجال المهتمين بالقيم الأخلاقية والروحية يتعلم أعضاؤها مبادئها من خلال سلسلة من الطقوس الدرامية التي تتبع أشكالا قديمة، وتستخدم ملابس وأدوات بنائي الحجارة كدليل مجازي. والعضوية فيها مفتوحة لكل الرجال من كافة الأعراق والأديان الذين يحققون الشرط السالف ويتمتعون بسمعة طيبة. (مرعي، 2011، صفحة 18)

هناك من عرفها بأنها تيار عقائدي غامض، نظامه سري جدًا يتكون من ثلاث مستويات يتوزعون على ثلاث وثلاثين درجة، ولا يعرف أسرارها من الماسونيين إلا من كان ينتمي إلى الدرجة العليا، ولهذا التيار محافل منتشرة عبر أنحاء العالم، وقد ظهر كممارسة عام 1131هـ/1717م في انجلترا، ويدعي أنه يهدف إلى خدمة الإنسان بالخلق والإبداع وبالإخاء والمساواة، في حين هو يهدف في الحقيقة إلى أن يقتل الإنسان نفسه بنفسه وبإرادته وقناعته، ويقتل مقومات شخصيته بشعارات لامعة وبراقة ظاهرها خدمة الإنسانية وباطنها خدمة التنظيم، والماسونية لا تسمح للنساء بالانخراط فيها. (جيتينز، 2013، الصفحات 20–50)

أما أعداء الماسونية فقد عرفوها بأنها منظمة يهودية سرية هدامة، إرهابية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية والفساد، وتتستر تحت شعارات خادعة مثل الحرية والإخاء والمساواة والإنسانية، ومعظم أعضائها من الشخصيات المرموقة في العالم، ويتعهد أعضاؤها بحفظ أسرارها ويقيمون ما يسمى بالمحافل للتجمع والتخطيط والتكليف بالمهام، وذلك تمهيدا لإقامة حكومة عالمية لا دينية، وتستخدم كافة السبل لتحقيق أهدافها بما فيها الاغتيال والرشوة والتهديد. (مرعي، 2011، صفحة 18)

2.3. دخول الماسونية Maçonnerie إلى الجزائر:

نعتقد أن اهتمام الماسونيين Francs-Maçons بالجزائر يعود إلى فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي إذ أن هناك عدة مؤشرات توحي بذلك، فمثلا ياكنو Yacono في دراسته التي عنونها بعنوان قرن من الماسونية الجزائرية Un Siècle de Franc maçonnerie Algérienne، حدد بداية وجود الماسونية في الجزائر بعام 1199هـ/1785م، لأن جزائريين جاءا من انجلترا إلى باريس في هذا التاريخ ويحمل كل منهما شهادة منخرط في أحد المحافل الماسونية، (Yacono, 1969, p. 15) كما أن جريدة الأخبار الصادرة عن سلطة الاحتلال الفرنسي سنة 1295هـ/1879م، تحدثت عن اجتماع ماسوني عقد في سيدي فرج بنصف شهر قبل احتلال مدينة الجزائر، وكان موضوع الاجتماع حول ملكية الأراضي البربرية باسم الحضارة والتسامح والتقدم. (عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 2004، صفحة 55) ومهما كان الأمر فإن الدلائل تدل على أن عدد الذين دخلوا الماسونية قبل الاحتلال كان قليلا جد. (Yacono, 1959, p. 58)

بما أن الماسونية في فرنسا قد تعرضت للاضطهاد على يد لويس الخامس عشر Louis xv، الذي اصدر منشورًا سنة 1151هـ/1737م يمنع من خلاله مواطنيه من الانخراط فيها، وصدمتها الحوادث السياسية وزعزعت أركانها سنة 1228هـ/1814م، (زيدان، 1982، الصفحات 19 –121) فإن هذا يعزز اعتقادنا

بأنها قد تكون اهتمت بالجزائر في فترة ما قبل الاحتلال الفرنسي لأنها كانت تمثل لها الحقل الخصيب لتجديد نشاطها ونشر أفكارها.

3.3. نشاط الماسونيين Francs-Maçons وأثره في الجزائر:

تتحدث بعض الدراسات على أن أول نشاط ماسوني لا غبار عليه، على أرض الجزائر كان في دالي إبراهيم بضواحي العاصمة سنة 1245هـ/1831م–1246هـ/1832م، وقد قام به مجموعة من العسكريين الكورسيكيين المنخرطين في الجيش الفرنسي، والتابعين لمحفل سيرنوس الكورسيكي، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج6، صفحة 410) وقد تطور نشاط الماسونية في الجزائر انطلاقا من تأسيس المحافل، إذ بعد أن كان في عام 1246هـ/1832م يوجد محفل واحد في الجزائر العاصمة ولا يتجاوز عدد منخرطيه 79 فردًا تعدى هذا العدد إلى 10 محافل سنة 1249هـ/1845م، وبلغ عدد المنخرطين 460 فردًا، وبعدها انتشرت المحافل في كل أنحاء الجزائر وازداد عدد المنخرطين. (عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 2004، صفحة 37)

عملت الماسونية من خلال تلك المحافل على كسب ودّ الجزائريين وجذبهم إلى صفوفها، فكانت تقدم نفسها على أنها دين الأديان، وأنها دين الحرية والتسامح، وأنها تدعو إلى الأخوة الإنسانية ولا تحاسب العضو فيها على قناعته حول الأديان، بل إنها تمنع في اجتماعاتها النقاش في المسائل الدينية منعًا باتًا، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج 6، صفحة 408) وقدم بعض أعضائها مشاريع لتسهيل إدخال الجزائريين فيها، نذكر منها مشروع العقيد طاردو Tardo الذي اقترح فيه أن لا يطلب من المترشح الأهلي للعضوية سوى معرفة اللغتين العربية والفرنسية، فإذا أصبح عددهم كبيرًا يُكَوّنُونَ محفلاً خاصًا بهم ولكن تحت إشراف محفل بيليزير Belisaire، وهو الفرع الرئيس في الجزائر لمحفل الشرف الفرنسي. (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج 6، الصفحات 412 –403) وكان الماسوني المسلم يوسف المملوك يخاطب الجزائريين باسم الإسلام والإنسانية وحرية المعتقد والمدنية، وهو الخطاب الذي كرسته الماسونية في الجزائر. (عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 2004، صفحة 57)

ليس من الغرابة أن تستميل الماسونية بمثل هذه المبادئ والشعارات التي رفعتها بعض الجزائريين إلى صفوفها، (عميراوي، دراسات في تاريخ الجزائر الحديث، 2004، صفحة 128) قد يكون الأمير عبد القادر من بينهم، إذ أشارت بعض الدراسات إلى أنه انتمى إلى هذا التيار، فقد قال سعيد الجزائري: "وكان

الأمير الجزائري قد انتسب إلى الجمعية الماسونية أثناء زيارته الطويلة لمصر على يد الأمير حليم باشا"، (الجزائري، 1996، صفحة 120) وقال جورجي زيدان: "دخلت الماسونية الرمزية (ينظر الملحق: إحالة رقم7) إلى دمشق بمساعي الطيب الذكر المغفور له الأمير عبد القادر الجزائري"، (زيدان، 1982، صفحة 143) ويذكر شارل روبار أجرون Charles Robert Ageron أن الأمير عبد القادر قَبِلَ يوم 18 جوان عام 1278هـ/1864م مباركة منحه درجة من درجات الماسونية وهي ∴R ∴L التي تعني Respectable Loge في المحفل الشرقي ∴O التي تعني Orient. (Ageron, 1977, p. 30) أما عبد المجيد همو يعتقد أن الأمير عبد القادر انتسب إلى الماسونية قبل انتهاء ثورته واستسلامه للفرنسيين،(ينظر الملحق: إحالة رقم8) وأن الضباط الفرنسيين لما أسروه وعلموا أنه كان ماسونيا تعاطفوا معه، وذهبوا به إلى باريس حتى تغلغلت في شرايينه الماسونية، فأطلقوه إلى بلاد الشام التي فتح فيها أول محفل ماسوني. (همو، 2009، صفحة 456)

أما نحن نستبعد أن يكون الأمير عبد القادر قد انتسب إلى الماسونية، لأن أغلب الكتابات الجزائرية التي تناولت هذا الموضوع برأت الأمير عبد القادر من هذا الفعل، (Benaissa, 2002, p. 38) (Sahli, 2007) لا سيما وأنه لا توجد وثائق ثبوتية حول انخراط الأمير عبد القادر في سلك الماسونية، كما أن العقيدة الإسلامية التي التزم بها الأمير عبد القادر طيلة حياته تعارض انتماءه للإلحاد الذي تناشده الحركة، (هلايلي، 2021، صفحة 58) كما أن الأمير عبد القادر تعامل مع رواد التيارات الفكرية بما فيها الماسونية كإنسان كمسلم مسالم، لا كمتعصب سفاك للدماء، وتعامل معهم لأنهم كانوا من دعاة خدمة الإنسانية، ولم يتعامل معهم تبنيا وقناعة بمبادئ هذا التيار الماسوني أو ذاك. (عميراوي، بحوث تاريخية، 2006، الصفحات 129 –130) بل حتى ياكونو Yacono الذي ادعى أن الأمير عبد القادر قد انتمى إلى الماسونية، نجده في موضع أخر ينفي أن يكون هذا الأخير قد زار محفل هنري الرابع في باريس سنة 1281هـ/1867م، (Yaconno, 1966, pp. 19–21) كما يدعي أولئك الذين يصرون على انتماء الأمير عبد القادر للماسونية.

لكن إن حدث وثبت أن الأمير عبد القادر قد انتمى إلى الماسونية وهو لا يزال في الجزائر يقود المقاومة ضد المحتل الفرنسي ـ وهذا ما لا نتوقعه ولا نتمناه ـــ كما تروج له بعض الأوساط الفرنسية، فإننا نعتقد أن انتسابه هذا قد يكون تم على يد الجاسوس الفرنسي ليون روش Léon Roches، (ينظر الملحق: إحالة رقم9) الذي قال عنه أبو القاسم سعد الله "وكان الجاسوس ليون روش ماسونيا أيضا". (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج6، صفحة 417)

كان روش Roches قد التحق بجيش الأمير عبد القادر سنة 1251هـ/1837م، وادعى أنه أسلم فقربه الأمير عبد القادر إليه وجعل منه كاتبا ومستشارًا له، وآمنه على أسراره، وكان يأخذه معه أينما ذهب، وينفق عليه من بيت مال المسلمين، ومنحه وسام الريشة اعترافًا له بالمجهود الذي بذله مع جيش الأمير في معركة عين ماضي ضد التجانيين. (مناصرية، 2007، الصفحات 28-31)

فإذا حدث وتأكد لنا أن الأمير عبد القادر انتسب بالفعل إلى هذه الحركة، فذلك يعد عملاً فرديا ومعزولاً منه لا يعبر عن موقف الطريقة القادرية التي يمثلها، ولا موقف التيار الصوفي الذي ينتمي إليه، إذ أن موقف هذا الأخير ــ التيار الصوفي ــ من الماسونية لا يمكن عزله عن موقف الأغلبية المطلقة من الجزائريين الذين ظلوا متحفظين من هذه الحركة، ورفضوا الانتساب إليها والانخراط فيها، لاسيما بعد أن ثبت لهم زيف شعاراتها ومبادئها، حيث لم يتعد عدد الجزائريين الذين انخرطوا في المحافل الماسونية سنة 1270هـ/1865م 19 فردًا في كل من قسنطينة وبجاية وعنابة وباتنة وجيجل وسطيف، (Yacono, 1969, pp. 254–255) وقد يكونون كلهم أو على الأقل أغلبيتهم من يهود الجزائر.

قد يكون السبب وراء عزوف الجزائريين عن الانخراط في الماسونية، هو أن أغلبهم كانوا من الطرقيين أي من أتباع الطرق الصوفية، وهؤلاء لهم أسرارهم الخاصة بهم وبطرقهم، ولا يمكن لهم أن يتقاسموها مع غيرهم، وهذه الأسرار تفرض عليهم أن يظلوا أحرارًا غير مقيدين ولا مربوطين إلا بتعاليم ومبادئ طرقهم الصوفية.

كما أنّ من غير المعقول، أن ينخرط أتباع التيار الصوفي في تلك المحافل الماسونية، وهم يشاهدونها وهي تمجد الاستعمار، (ينظر الملحق: إحالة رقم10) وتسانده وتدعوه إلى جلب الأهالي البرابرة المتعصبين ــ حسب الوصف الماسوني ــ إلى الحضارة وإدماجهم فيها، كما كانت تساعده وتساهم في حملاته العسكرية التوسعية، التي يقودها ويشارك فيها ضباط ينتسب أغلبيتهم لهذه المحافل.

يبدو واضحا وجليًا أن مع هذه المعاملة العنصرية للأهالي من قبل هذه المحافل، لم يكن بإمكان أتباع التيار الصوفي، ولا بإمكان غيرهم من أغلبية الشعب الجزائري أن ينخرطوا في الماسونية. ونعتقد أن أبو القاسم سعد الله كان محقا حين تساءل قائلا: "فكيف، مع هذا الأسلوب من المعاملة، سيدخل الجزائريون في المحفل الماسوني؟". (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج6، صفحة 412)

لكن حين لاحظ الماسونيون أن أتباع التيار الصوفي كانوا يبتعدون عنهم، كما لاحظوا أنهم الفئة الأكثر شعبية بين الأهالي، ولهم نفوذ كبير وواسع في أوساطهم، ويحضون بتقدير كبير بينهم، وأوامرهم مطاعة عندهم، راحوا يزيفون الحقائق ويدّعون أن أتباع التيار الصوفي هم من أتباع الماسونية، وأن الطرق الصوفية التي ينتمون إليها ما هي إلا شكل من أشكال الماسونية، ويطلق عليها اسم الماسونية العربية، فعلى سبيل المثال وحسب ما ورد عن أبو القاسم سعدالله فإن مجلة الماسونية الإفريقية التي ظهرت سنة 1263هـ/1849م، ذكرت أن الماسونية قد انتشرت في الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي، معتبرة بعض الطرق الصوفية شكلاً من أشكال الماسونية، وأن الإخوان في هذه الطرق هم أعضاء في الماسونية العربية، لأن الماسونية هي دين كل العصور وكل البلدان. كما ذكرت هذه المجلة أن هناك تشابه بين بعض ألفاظ الماسونية العربية ـ أي الطرق الصوفية ـ وبعض ألفاظ الماسونية الأوروبية، فمثلاً هناك تشابه لفظي بين كلمة الورد عند الصوفية أوْرْدَرْ الفرنسية والانجليزية، وقالت إن الكلمتان تستعملان في نفس المعنى، وهو ما يتلقاه المريد في الطرق الصوفية وفي الماسونية، وكذلك كلمة إخوان في الصوفية وكلمة كوان Cwan في الانجليزية التي تعني الأخ، وهي تعطى للعضو الأجنبي في الماسونية، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج6، الصفحات 414-415) إلا أننا نعتقد أن ما ذهبت إليه المجلة هنا من وجود تشابه وقواسم مشتركة بين الماسونية والطرق الصوفية هو ضرب من الخيال وتزييف للحقائق لا أكثر، إذ لا يوجد أي مصدر أو مرجع ــ على حد علمنا ــ ذهب إلى ما ذهبت إليه هذه المجلة.

ربما فعل الماسونيون الشيء ذاته مع الأمير عبد القادر، فاستغلوا علاقته ومراسلاته (ينظر الملحق: إحالة رقم11) مع بعض زعمائهم، وزعموا أنه ينتسب للماسونية. يقول أبو القاسم سعد الله: "لذلك يمكننا القول إن اسم الأمير قد استعمل منذ حوالي 1864م بطريقة مغلفة لتجنيد الأعضاء في الماسونية. فالغرب كان واعيًا والشرق كان مغفلاً". (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009،ج6، صفحة 422)

نعتقد أن الماسونيين كانوا يهدفون من كل هذا التزييف والتحريف للحقائق، تغليط الجزائريين والدفع بهم إلى الانخراط في المحافل الماسونية اقتداءا بأتباع التيار الصوفي الذين سبقوهم إلى هذا الفعل حسب زعم الماسونيين، إلا أن هدفهم هذا لم يتحقق لأن أغلب الجزائريين وفي مقدمتهم أتباع التيار الصوفي، ظلوا متحفظين من المحافل الماسونية، فكانوا ينظرون إليها بنوع من الشك والريبة، سيما وأنهم لاحظوا تناقضًا كبيرًا بين أفكارهم وأفعالهم، أي تناقض تام بين ما تدعوا إليه الماسونية النظرية، وما تقوم به الماسونية التطبيقية أو العملية.

مهما كان الأمر، فقد عاشت الماسونية العهد الاستعماري وفي ظل الإدارة الفرنسة، مؤيدة لها ومباركة أعمالها، وداعية للاندماج بين الفرنسيين والجزائريين والقضاء على الروح العربية الإسلامية، وأضحى المحفل الماسوني هنا في الجزائر أغلبه من البرجوازية، وأعضاؤه من سكان المدن طبعا، وقد دخله بعض اليهود الجزائريين أمثال طاما ايلي، واليزار، وكلاهما كان في الهيئة الدينية الإسرائيلية (كونسيستوار)، كما دخل المحفل الماسوني بعض رجال الدين الفرنسيين، رغم أن المحفل الماسوني على العموم مضاد للكنيسة في نظر البعض، وقد سيطر بعض رجال الماسونية على النواحي الاقتصادية والمالية واستغلال الأرض في الجزائر، كما كان من بينهم السياسيون والكتاب والشعراء والصحفيون، (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج6، صفحة 415) وهذا ما ساهم في توطيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وساعده على توسيع نفوذه وانتشاره عبر مناطق مختلفة من الوطن.)

4. الخاتمة:

بعد العرض لموضوع البحث توصلنا إلى جملة من النتائج التي نلخصها في النقاط التالية:

- أن توطيد الاستعمار الفرنسي في الجزائر قد ساهمت فيه عوامل عديدة وأطراف كثيرة تتقدمهم السلطة الفرنسية برفقة السان سيمونيين والماسونيين، وكانت هذه الأطراف كلها متفقة على ضرورة القضاء على مقومات الهوية الوطنية للجزائريين من دين ولغة وثقافة وعرق، رغم كونها مختلفة فيما بينها حول الهدف.
- أن السان سيمونيين والماسونيين عقدوا العزم على تحقيق أهدافهم وتنفيذ مشاريعهم على أرض الجزائر منذ أن وطأتها أقدامهم، فعملوا جاهدين من أجل القضاء على تيار المقاومة الوطنية الذي أدركوا أنه قائما أساسا على قوة رجال الدين المرابطين أو أتباع التيار الصوفي، ورجال السيف الأجواد.
- أن السان سيمونيين والماسونيين، أدركوا أن القضاء على التيار المقاوم لا يتم ولا يتحقق إلا من خلال المزج في التعامل معه بين سياسة الترهيب التي تكون بقوة السلاح، وسياسة الترغيب التي تتم عن طريق استمالة القلوب والعقول من خلال التظاهر بتقارب الأفكار بينهم وبينه، وإقامة بعض المشاريع التنموية التي ظاهرها خدمة الإنسانية عامة وباطنها التمكين للمحتل وللمستوطنين الأوروبيين.
- أن رجال الدين لا سيما أتباع الطرق الصوفية أو التيار الصوفي ظلوا طيلة القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي، مبعث قلق وإزعاج للسان سيمونيين والماسونيين لكونهم مصدر المقاومة وقادتها، وهذا ما جعل هؤلاء يطبقون عليهم الخناق والحصار بكل الطرق والوسائل طيلة هذه الفترة، وهو ما أثر في أخر المطاف سلبا على نشاط التيار المقاوم وجعله يضعف ويتراجع مع نهاية ذلك القرن.

- أن السان سيمونية كانت تخدم المصلحة الاستعمارية الفرنسية لأن في خدمة هذه الأخيرة، خدمة وتجسيد للمشروع السان سيموني على أرض الجزائر، إلا أنها كانت تتظاهر بحرصها الشديد على مصلحة الجزائريين حتى تبقي روح الثورة والمقاومة عندهم هادئة.
- أن الماسونية حاولت استخدام ورقة الأمير عبد القادر الذي ادعت بهتانا وزورا أنه انتسب لمحفلها، وهذا لكسب ود الجزائريين وجلبهم للانخراط فيها تيمنا بقائدهم العظيم، غير أنها أخفقت في ذلك.
- أن السان سيمونيين والماسونيين، نجحوا في توطيد الاستعمار والتمكين له في أرض الجزائر، وهو ما جعله يمكث فيها لما يزيد عن قرن وربع قرن، لكنهم فشلوا في تحقيق أهدافهم ومشاريعهم على أرض الجزائر، كما فشلوا في زرع أفكارهم الأيديولوجية في عقول الجزائريين.

5. قائمة المراجع:

- أبو القاسم سعد الله .(2009) .الحركة الوطنية الجزائرية) 1900 – 1860 الإصدار الجزء1 ، المجلد ط .(6الجزائر :دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- أبو القاسم سعد الله .(2009) .تاريخ الجزائر الثقافي) الإصدار الجزء6 ، ط .8 الجزائر :دار البصائر للنشر والتوزيع.
- أبو القاسم سعد الله .(2009) .تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر للنشر والتوزيع) الجزء4، ط.8
- أحميدة عميراوي1425) .هـ2004/م .(السياسة الفرنسية والمقاومة الجزائرية في منطقة سكيكدة .(1858–1838)عين مليلة، الجزائر :دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- أحميدة عميراوي .(2004) .دراسات في تاريخ الجزائر الحديث) المجلد ط .(2عين مليلة، الجزائر :شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- أحميدة عميراوي .(2006) .بحوث تاريخية) المجلد ط .(3عين مليلة، الجزائر :شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- إدوارد دونوفو .(2003) .الإخوان دراسة إثنولوجية حول الجماعات الدينية عند مسلمي الجزائر) . ترجمة وتحقيق كمال فيلالي، المترجمون (عين مليلة، الجزائر :شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع.
- أسامة حامد مرعي .(2011) .خفايا وأسرار الماسونية) طقوس . –شفرات –دسائس) .(راجعه وقدم له منصور عبد الحكيم،، المحرر (دمشق، سوريا :دار الكتاب العربي.

- الحسيني الحسيني معدي .(2012) .موسوعة الماسونية .القاهرة، مصر :موسوعة الماسونية، كنوز للنشر والتوزيع.
- إيان جيتينز .(2013) .فك الشيفرة الماسونية أسرار الرمز المفقود .(غادة عرب، مراجعة منذر الحايك، المترجمون) دمشق، سوريا :دار صفحات للنشر والتوزيع.
- جرجي زيدان .(1982) .تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم .بيروت، لبنان :دار الجيل.
- سعيد الجزائري .(1996) .الماسونية . ط 3 .(بيروت، لبنان) :دار الجيل.
- شارل روبير أجرون .(2007) .(الجزائريون المسلمون وفرنسا) 1919 –1871 الإصدار الجزء الأول) .(م .حاج مسعود و أ.بكلي، المترجمون (الجزائر :دار الرائد للكتاب.
- صورية متاجر وحنيفي هلايلي . ماي.(2021). الأمير عبد القادر والماسونية الفرنسية أي علاقة في تاريخ الحركة؟ الحوار المتوسطي.
- عبد المجيد همو .(2009) .الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ؟ ومن خدمت ؟ دمشق، سوريا :دار صفحات للدراسات والنشر.
- محمود صالح منسي. (د.ت) .مشروع قناة السويس بين أتباع سان سيمون وفرديناد دي لسيبس . مصر :دار الاتحاد العربي للطباعة.
- مصطفى بن التهامي .(2009) .سيرة الأمير عبد القادر وجهاده .الجزائر :دار البصائر للنشر والتوزيع.
- مصطفى عبيد. (2013). الفكر الاستعماري السانسيموني في مصر والجزائر1870–1833 م . الجزائر :دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع.
- يوسف مناصرية .(2007) .روبية، الجزائر :المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار.
- Ageron, C. R .(1977) .Abd El- Kader et La première résistance Algérienne . *in Les Africains* ,p.30 .
- Benaissa, H .(2002) .*L'emir Abdelkader et la France-maçonnerie* .Alger: Ed. Maarifa.
- Cordier, E. H .(1937) .*Napoléon III et L'Algérie* .Alger: Ancienne Imprimerie V. Heintz.

- Emérit, M .(1941) .*Les Saint-Simoniens en Algérie* .Paris :Edition les belles letters.
- Enfantin, P .(1843) .*La Colonisation de L'Algérie* .Paris: Paris.
- Kebache, M .(2009) .L'émir Abdelkader et La Franc-maçonneri Française de L'engagement (1864) au renoncement (1871.(
- Sahli, C .(2007) .*mythes Français et réalité Algérienne* .alger.
- Yaconno, X ,1966) .Juin .(Histoire Maçonnique .*In Revue Documentation Du Grand Orient De France*.
- Yacono, X .(1959) .Les Débuts de la franc-Maçonnerie à Alger (1830-1852 .(*REVUE AFRICAINE*.
- Yacono, X .(1969) .*Un Siècle de Franc- maçonnerie Algérienne (1785-1884 .(*Paris: Maisonneuve et Larose.
- Yver, G .(1918) .Enfantin et L'émigration étrangère en Algérie .*REVUE AFRICAINE* ,p.258 .

6. الملاحق:

ملحق الاحالات والاضافات

1 – آنفانتان (Enfantin): ولد سنة 1210هـ/1796م بفرنسا، ودخل السان سيمونية على يد أوليند رودريغر. يعرف عنه أنه من أكثر السان سيمونيين تأثيرا على أصحابه وهذا ما أهله لخلافة سان سيمون على رأس التنظيم بعد وفاته سنة 1239هـ/1825م، وهو مهندس خريج مدرسة الصنائع (المدرسة المتعددة التقنيات) بفرنسا. له كفاءة عالية على التنظير والتخطيط ويحظى بتقدير كبير عند أتباعه لذا لقب بالأب الروحي للسان سيمونيين، تعرض للسجن سنة 1246هـ/1832م، وتوفي سنة 1278هـ/1864م. للمزيد من المعلومات يراجع: (عبيد، 2013، صفحة 41)

2 – عرف السان سيمونيون مصر منذ سنة 1246هـ/1832م، عن طريق آنفانتان (Enfantin) الذي وجه إليها أتباعه حاملين معهم مشروع الاستثمار في قناة السويس ومشاريع أخرى في مجال التعليم، وفي الهندسة المدنية والتقنيات، وهؤلاء الأتباع هم كايول Cayol، وجيرمين Germain، وفليشي Flichy، وبانتييه Pantier. (عبيد، 2013، صفحة 30) ووقع اختيار السان سيمونيين على مصر أيضا باعتبارها منطقة استراتيجية في إفريقيا، تقع في أكثر الجهات ملاءمة لتسيير الحملات منها إلى مختلف المناطق، كما أنها من أهم الطرق الرئيسة لدى المسلمين أثناء توجههم إلى الأماكن المقدسة، ولدى أهلها قابلية تلقي العلوم والمعارف المختلفة. (منسي، د.ت، صفحة 18)

3 – قلنا هنا حرب غير مباشرة لأن السان سيمونيون لم يدخلوا الحرب ضد التيار الصوفي باسم الحركة السان سيمونية، وإنما دخلوها بصفتهم ضباط منخرطين في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي.

4 – هو طوماس أوربان Thomas Urbain، فرنسي الأصل من مواليد كايان، أبوه فرنسي من تجار مارسيليا، وأمه من كايان وكانت هي أيضا مهجنة من والدين مختلطين، وقد حمل اسم إسماعيل بعد أن اعتنق الإسلام، وتزوج سنة 1254هـ/1840م امرأة مسلمة من قسنطينة اسمها جرمونة وأنجب منها بنتا سماها باية، وكان زواجه على يد القاضي المسلم، وسبق له أن تعلم اللغة العربية عندما كان مقيمًا بمصر، وشارك في مختلف أوجه الحياة بالجزائر وفي فرنسا، بالإضافة إلى الكتابات والترجمة. يعتقد بعض الباحثين أنه أقرب الفرنسيين إلى المجتمع الجزائري، فقد جعل نفسه واحدًا من هذا المجتمع يحس بإحساسه ويفهم تقاليده. توفي في فرنسا سنة 1298هـ/1884م. يراجع: (سعد الله، 2009، الجزء 6، الصفحات 441 –444)، ويعتقد مصطفى عبيد أن إسماعيل أوربان لم يكن مجرد مترجم فحسب، بل مستشارًا وخبيرًا بطرق إخضاع الجزائريين. (عبيد، 1434هـ/2013م، صفحة 90)

5 – لنا أن نعرض إحدى مراسلات الأمير عبد القادر إلى إسماعيل أوربان وهي كالآتي: ((الحمد لله وحده... إلى حضرة الحبيب الذي ما أحببنا مثله والعاقل الذي ما رأينا أعقل منه السيد إسماعيل الترجمان الكبير السلام عليكم وعلى جميع أحبابكم وبعد السؤال عن أحوالكم أجراها الله على وفق مرادكم أنكم عالمون أننا طلبنا سعادة المارشال سانت أرنو[Saint-Arnaud] على تسريح السيد محمد الشاذلي إلى بروسيا وأخبرني المارشال أنه أعطاه التسريح وأنا لا أشك في كلام المارشال ثم إن السيد الشاذلي تخلف عن السفر إلى بروسيا وفي هذه الأيام كتب إليّ السيد الشاذلي يقول لي أطلب السلطان نابليون الثالث عز نصره يرسلني إلى بروسه وأنا ما قدرت نفهم هذا الأمر نطلب منك تفهموني بمقصود السيد الشاذلي وتفسرون هذا الكلام كما أنا أشتم (كذا) كلامكم، وليس عندي أحد مثلكم أثق بمحبته وعقله، والسلام عليكم من محبكم عبد القادر بن محي الدين لتسع بقين من رمضان عام 1269هـ)). نقلا عن: (بن التهامي، 2009، صفحة 364)

6 – نعتقد أن موقف التيار الصوفي من السان سيمونية كان موقفًا سياسيا، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الاحتلال الفرنسي الذي استولى على البلاد وشرد العباد، ولم يكن موقفًا فكريًا أو إيديولوجيا، وهذا الموقف للتيار الصوفي من السان سيمونية، قد يكون ناتج عن جهل أتباع هذا التيار بهذه الحركة، وبفكرها ومبادئها، ومشروعها، كما قد يكون نابع عن قناعة راسخة عندهم من أن هذه الحركة، هي حركة استعمارية استيطانية مشروعها لا يختلف عن مشروع الاحتلال الفرنسي، وهي تهدف إلى الاستيلاء على الوطن وتشريد المواطن، وعليه وجب جهادها دون هوادة لإفشال مشروعها على أرض الجزائر.

7 – يقصد بمصطلح الماسونية الرمزية، تاريخ الماسونية الحديث الذي يبدأ من سنة 1131هـ/1717م، وقد قيل لها رمزية لأن الأدوات التي تستعمل فيها تختص بالبناء العملي، وقد كان البناؤون العمليون يستعملونها في البناء فلما انتقل موضوع هذه الجمعية من صناعة البناء إلى الفضيلة والعلم حافظوا على أدوات البناء

وعلى كثير من القوانين الأساسية القديمة لكنهم جعلوا مدلولاتها رمزية يرمزون بها عن أدوات العمران البشري كالفضيلة والاستقامة والبروما شاكل. يراجع: (زيدان، 1982، صفحة 75)

8 – لمعرفة المزيد عن بداية علاقة الأمير عبد القادر بالماسونية والماسونيين، يراجع: (Kebache, 2009 , pp. 85-114)

9 – ولد بمدينة غرونوبل Grenoble الفرنسية سنة 1224هـ/1809م، من أبوين فرنسيين، وتوفي في نفس المدينة سنة 1319هـ/1901م، بدأ حياته في الجيش الفرنسي وأرسلته المخابرات العسكرية لكي يتجسس على الأمير عبد القادر عدة سنوات، فادعى أنه اعتنق الإسلام وغير اسمه إلى عمر، وتزوج من مسلمة وألف كتابا سجل فيه مغامراته في القيروان ومصر والحجاز للحصول على فتوى من علماء المسلمين ضد حركة الجهاد في الجزائر، كما تولى الشؤون القنصلية لبلاده في عدة بلدان كالمغرب وتونس. للمزيد من المعلومات عن حياة هذا الجاسوس وعن مهمته في الجزائر يراجع: (مناصرية، 2007).

10 – في سنة 1262هـ/1848م–1263هـ/1849م قام محفل بيلزير Belsair، بنشاط في صالح الاستعمار، وقد اعتبر المحفل الجنود الفرنسيين الذين سقطوا أمام أسوار قسنطينة في الحملتين 1250هـ/1836م، 1251هـ/1837م، جنودًا سقطوا من أجل الشرف ومن أجل سعادة فرنسا، وهم شجعان يجب الاعتراف بجميلهم. يراجع: (سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 2009، ج6، صفحة 411).

11 – من بين هذه المراسلات نذكر رسالته إلى رؤساء وأعضاء الجمعية الفخيمة الفرنماسونية. ينظر: (معدي،2012 ، صفحة651)